



آداب الطريق
وقيادة المركبات

جزء ١



الطبعة الأولى

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

ISBN 978 - 9948 - 23 - 144 - 8

حقوق الطبع محفوظة

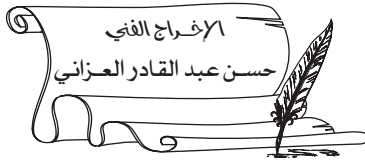
لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي
إدارة البحوث

هاتف: ١٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ١٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



التدقيق اللغوي

سيد أحمد نورائي



الإخراج الفني

حسن عبد القادر العزاني



آداب الطريق وقيادة المركبات

إعداد

عبد الله خالد الهاشمي

إدارة البحوث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

افتتاحية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فيسر « دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي -

إدارة البحوث » أن تقدّم إصدارها الجديد « آداب الطريق وقيادة المركبات » لجمهور القراء من السادة الباحثين والمتقنين والمتطلعين إلى المعرفة.

فهذه رسالة تساهم في العمل المجتمعي المشترك بين كافة مؤسسات الدولة الثقافية والتربوية والدينية لتعزيز قيم الإسلام الأخلاقية الأصيلة بين أفراد المجتمع، وتتناول الرسالة آداب الطريق في الإسلام، وقيادة المركبات، وضرورة التزام النظام المروري في الحياة اليومية، وارتباطه الوثيق بأصول وقواعد الشرع الحنيف الداعي إلى جلب المصالح وتكثيرها، ودفع المفاسد وتقليلها، وحفظ الحقوق والمصالح العامة والخاصة.



وهذا الإنجاز العلمي يجعلنا نقدم عظيم الشكر والدعاء لأسرة آل مكتوم حفظها الله تعالى التي تحب العلم وأهله، وتؤازر قضايا الإسلام والعروبة بكل تميز وإقدام، وفي مقدمتها صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد بن سعيد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي الذي يشيّد مجتمع المعرفة، ويرعى البحث العلمي، ويشجع أصحابه وطلابه .

راجين من العلي القدير أن ينفع بهذا العمل، وأن يرزقنا التوفيق والسداد، وأن يوفق إلى مزيد من العطاء على درب التميز المنشود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلّم على النبي الأمي الخاتم سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إدارة البحوث





الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،
أما بعد:

فإن باب الآداب الشرعية والأخلاق من أعظم أبواب
الدين قدرا، وأكثرها أجرا، وإن حفظ الأنفس والأموال من
مهمات الشريعة ومقاصدها الكبرى.

في هذه الرسالة نتطرق إلى صون الأنفس والأموال
ووقايتها، والدعوة إلى أحسن الأخلاق والآداب، فهي رسالة
في: آداب الطريق وقيادة المركبات.

وتشتمل على موضوعين رئيسين:

الأول: النظام المروري، أهميته، وحكم الشرع في التزامه ومدى ارتباطه بأصول الشرع وقواعده العامة.

الثاني: الآداب الشرعية المتبعة والأخلاق المرعية حال استخدام الطرقات.

نسأل الله عز وجل العلم النافع والعمل الصالح، ونسأله سبحانه التوفيق والسداد، إنه خير مسؤول.

عبد الله بن خالد الهاشمي

نعم الله عز وجل

إن الله عز وجل هو الرب المتفرد بالخلق والملك والتدبير، سبحانه وتعالى، وقد خلق الخلق ولم يتركهم هملاً، ورزقهم نعماً لا تحصى، فهو الرب الجواد الكريم.

قال سبحانه ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨] فإن تعدادها والقيام بشكرها يقصر عنه عمل الإنسان وعمره، والله يعلم عجز عباده لذا ختم الآية بقوله ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨] فيغفر الزلل والتقصير، ويجزي بالعمل القليل الصالح، الجزاء الكبير؛ رحمة منه وفضلاً، ويرحم عباده المؤمنين الذين يذكرونه ويستغفرونه على تقصيرهم في شكر نعمه عز وجل.

فمن النعم التي جعلها الله للإنسان: نعمة المراكب التي يستعين بها على تسهيل أمور حياته، وقطع الطرق والسعي في



الأرض وحمل المتاع، وجلب المصالح، فقد سخرها الله عز وجل لبني آدم وتفضل بها عليهم، قال عز وجل: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَائِكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرَكُونَ ۗ (١٢) لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ۗ (١٣) وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ۗ﴾ [الزخرف: ١٢-١٤].

ومن النعم الكبرى التي امتن الله بها على عباده أن مهّد الأرض وبسطها لهم. قال سبحانه: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۗ﴾ [الزخرف: ١٠]، فلولا أن مهّد الله الأرض وبسطها لما استقامت حياة البشر ولا استقرت.

وامتنَّ الله على عباده بأن مدَّ لهم الأرض وجعل لهم فيها معاش، قال سبحانه: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ

وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُمْ بَرَزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿[الحجر: ١٩-٢٠].

ومع التقدم في الزمن والعلوم والحاجة إلى استحداث أمور دعت الحاجة إليها، تنوعت المراكب، وتطورت، وهذا من فضل الله ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣]، فلولا مشيئة الله ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩]، وتعليمه للإنسان ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ٥]، وخلقه للأسباب الموصلة إليها وتيسيره لها؛ لما وُجدت هذه المراكب، فلا يوجد شيء في هذا الكون إلا بقدر الله؛ ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩].

إذن، نعم الله عز وجل لا حصر لها، وفضله وكرمه وإحسانه عز وجل عظيم، والواجب علينا أن نشكر الله عز وجل دائماً، بالقلب واللسان والجوارح.



والشكر بالقلب يكون بالإيمان والاعتراف بإنعام الله سبحانه، والحب والخضوع للمنعم الحق سبحانه، والتوكل عليه في شؤون الحياة كلها ﴿ وَمَا يَكُومَنَّ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣].

والشكر باللسان يكون بالثناء على الله عز وجل، وأن ينسب الفضل إليه سبحانه، ويبرأ العبد الضعيف من حوله وقوته إلى حول الله وقوته ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١١].

والشكر بالجوارح يكون باستعمال تلك النعم في طاعة الله سبحانه ﴿ أَعْمَلُواْ ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [سبأ: ١٣].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (الشكر يكون: بالقلب: خضوعاً واستكانةً، وباللسان: ثناءً واعترافاً،

وبالجوارح: طاعةً وانقياداً^(١).

ويقول رحمه الله: (وكذلك حقيقته في العبودية: وهو

ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناءً واعترافاً.

وعلى قلبه: شهوداً ومحبة.

وعلى جوارحه: انقياداً وطاعة.

والشكر مبني على خمس قواعد:

١ - خضوع الشاكر للمشكور.

٢ - وحيه له.

٣ - واعترافه بنعمته.

٤ - وثناؤه عليه بها.

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢/٢٤٦).



٥- وألا يستعملها فيما يكره.

فهذه الخمس: هي أساس الشكر. وبنائؤه عليها. فمتى

عدم منها واحدة، اختل من قواعد الشكر قاعدة^(١) اهـ.



(١) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٢٣٤).

النظام المروري وعلاقته بمقاصد الشريعة الإسلامية

إن الشريعة الإسلامية إلهية المصدر، بمعنى أنها من الله عز وجل، وهذا وحده يكفي في بيان عظيم أمرها وأثرها على الفرد والمجتمع.

فإن الله عز وجل هو الخالق، وهو أعلم بخلقه ومصالحهم من أنفسهم، وهو الحكيم، فلا يفعل سبحانه ولا يأمر ولا ينهى إلا لحكمة.

وإن من أبرز ما اعتنت به الشريعة فيما يتعلق بدين العباد ودنياهم: مسألة جلب المصلحة وتكثيرها، ودفع المفسدة وتقليلها. وإن للشريعة غايات ومقاصد أساسية تسعى لتحقيقها، وتجلب المصالح وتدفع المفاسد على أساسها. وقد جاءت لحفظ خمس كليات رئيسة، ضرورية، سعت لتحقيقها،



وحفظتها من الإهمال والضياع، وصانتها بسياج من الأصول والقواعد والضوابط والأحكام.

فهي على الترتيب^(١):

- ١ - حفظ الدين.
- ٢ - حفظ النفس.
- ٣ - حفظ العقل.
- ٤ - حفظ النسل أو العرض.
- ٥ - حفظ المال.

ويظهر جليا علاقة حفظ الأنفس والأموال بالنظام المروري وقوانين السير، فقد وضعت لغايات دعت الشريعة

(١) انظر: الموافقات للشاطبي (٢/ ٢٠).

إليها، فبها تحفظ الأنفس من الهلاك، والأموال من التلف،
والحقوق من الضياع، فلها أصل في الشريعة.

وإن ما تستحدثه القوانين - التي لم يرد فيها نص - من
أنظمة تحقق مصالح معينة وتدفع مفسد معينة تعرض على
الشريعة ومقاصدها، فإن وافقتها وخلت من الحرام والظلم
كان الأخذ والعمل بها مطلوباً ومُلزماً. وإن ما ينظمه ولي
الأمر أو من ينوب عنه من الجهات المسؤولة لتحقيق المصالح
العامة هو من واجباتهم تجاه الرعية، وإن من واجب الرعية
شرعاً طاعتهم في ذلك، تحقيقاً للنفع العام والمصلحة العامة،
وقبل ذلك للأمر الشرعي به.

وقد جاء قرار المجمع الفقهي رقم ٧١ (٢ / ٨):

« أ- إن الالتزام بتلك الأنظمة التي لا تخالف أحكام
الشريعة الإسلامية واجبٌ شرعاً، لأنه من طاعة ولي الأمر فيما



ينظمه من إجراءات بناءً على دليل المصالح المرسلة، وينبغي أن تشمل تلك الأنظمة على الأحكام الشرعية التي لم تطبق في هذا المجال .

ب - مما تقتضيه المصلحة أيضاً سنّ الأنظمة الزاجرة بأنواعها، ومنها التعزير المالي، لمن يخالف تلك التعليمات المنظمة للمرور لردع من يُعرّض أمن الناس للخطر في الطرقات والأسواق من أصحاب المركبات ووسائل النقل الأخرى أخذاً بأحكام الحسبة المقررة».

إن قوانين السير، ونظام المرور، ضرورة تقوم عليها حياة الناس، بحيث تحتل أمور حياتهم باختلاها، وهذه القوانين وُضعت لأجل ضبط وسائل النقل وسيرها وتحميل مستخدمي الطريق للمسؤولية، فيعرف كل مرتاد للطريق الحق الذي له والذي عليه. فلها أصل في الشريعة كما تقدم،

فالالتزام بها واجب، والإخلال بها ومخالفتها والتسبب بإهلاك الأنفس والأموال العامة والخاصة كل ذلك محرم شرعاً، وتجري عليه أحكام الشريعة في المعاملات والجنايات والحدود، مع ما تسنه القوانين من عقوبات رادعة على من يخالف أو يتسبب بالأضرار العامة والخاصة، بل وإن لم يحدث المخالف ضرراً فإنه يعدّ أثماً شرعياً، ومقترفاً لمخالفة قانونية يُحاسب عليها.

كل ذلك حفظ لأمن المجتمع ولأنفس الناس وأموالهم، وحفظ للحقوق العامة والخاصة، وعمل بالقاعدة الفقهية (الضرر يُزال)^(١)، وكما قال النبي ﷺ: (لا ضرر ولا ضرار)^(٢)، فهذا الحديث أصل عظيم في رفع الضرر عموماً وتحريم

(١) انظر: الأشباه والنظائر للسبكي (١/ ٤١)، وشرح القواعد الفقهية للزرقا ص: ١٧٩.

(٢) موطأ الإمام مالك، رقم: ١٤٢٩. مسند الإمام أحمد، رقم: ٢٨٦٥ (٥/ ٥٥).



الإضرار بالغير؛ وعليه: فإن الواجب شرعاً - قبل كل شيء - أن يتقيد مستخدم الطريق - ماشياً كان أو راكباً - بالضوابط الشرعية، والقوانين المنظّمة لحركة السير والمرور، ولا يكون سبباً في جلب الضرر على نفسه أو غيره بما يخالف هذه القواعد والضوابط.



صور تعريض النفس والآخرين للخطر والهلاك

إن من صور تعريض النفس والآخرين للخطر على

الطرقات عديدة، ولعل أبرزها ما يلي:

- الطيش والتهور.
- الانحراف المفاجئ.
- الانشغال بغير القيادة، وخصوصا الهاتف.
- السرعة الزائدة عن الحد المسموح.
- عدم ترك المسافة الكافية الآمنة.
- عدم فسح المجال، ومدافعة الناس على الطرقات مع التجاوز الممنوع.

إن هذه الصور - كما تقوله التقارير المرورية وكما يقوله واقع الحال - تصرفات غير مسؤولة من أصحابها، تعرض



أنفسهم وأموالهم للخطر، وربما فقد التام، وتعرض غيرهم من مرتادي الطريق لنفس ما تعرضوا له.

إن الضرر متعدّدٌ وليس قاصراً على المخالف، وإن الأضرار والمفاسد المتعدية جُرمها في شريعة الله أكبر، وعقوبتها بحجم خطرها وضررها.

وإن إهلاك الأنفس والأموال العامة والخاصة من أشنع ما قد يرتكبه الشخص في حق نفسه وفي حق غيره، بل إن مجرد تعريض النفس والغير للخطر إثم وجرم كما تقدم.

بل لو تأمل الإنسان في أقل ما قد يعرض له غيره وهو ترويعهم وتخويفهم، لعلم الإثم والأثر السيء الذي وقع فيه.

وعلى هذا وغيره تُعرف الأحوال المختلفة من صور تعريض النفس والآخرين للخطر.

فكم غيّبت هذه التصرفات أحباباً تحت التراب، وكم

أرقدت أناسا في المستشفيات بين غيبوبة وعاهة مستدامة أو
علة يطول علاجها.

والحمد لله على كل حال، ونسأل الله عز وجل أن يرحم
من مات، وأن يعافي من ابتلي، وأن يحفظنا ويحفظ أهلينا
وجميع الناس.

يقول عز وجل: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

قد جمعت هذه الآية العظيمة أمورا:

الأمر الأول: النهي عن إلقاء الأنفس في التهلكة،
ويتضمن الأمر بالحفاظ على الأنفس وصيانتها وعظيم
حرمتها عند خالقها عز وجل.

الأمر الثاني: الأمر العام بالإحسان، ويتضمن عموم
النهي عن الإفساد والإساءة.



الأمر الثالث: أثبت الله عز وجل محبته لعباده الذين تحلّوا
بصفة الإحسان.

إن هذه الآية الجامعة قد رسمت صورة كلية عما يجب أن
يكون عليه السائق والراكب والمشي من مستخدمي الطريق.

إن صور عدم الالتزام بنظام السير والمرور من طيش
وإهمال، وعدم الالتزام بالآداب الشرعية والأخلاقية، كل
ذلك من (الإساءة) وليس من (الإحسان)، ومن (إلقاء
الأنفس في التهلكة)، وتعريض (لسخط الله وغضبه) قبل
تعريض النفس للعقوبات الدنيوية الزاجرة.

فينبغي أن نلتزم بالإحسان المأمور به في هذه الآية، فما
أمر الله بشيء أو نهى عنه إلا لمصلحة عظيمة وحكمة بالغة
وعلم شامل وهو العليم الحكيم سبحانه.



الطريق وآدابه

ما آداب الطريق؟ هي السلوكيات التي يجب مراعاتها في الطرق والأماكن العامة، كالشوارع والأسواق، وغيرها.

فتشمل مستخدمي هذه الطرق والأماكن، سواء على الجالس فيها أو الماشي أو الراكب.

والأصل في هذا قول النبي ﷺ: «أعطوا الطريق حقه»^(١).

وقد بينَ ﷺ كثيرا من آداب الطريق وحقوقه، وسيأتي تفصيلها إن شاء الله.

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ٦٢٢٩، صحيح مسلم ٢١٢١.



إعطاء الطريق حقه:

إن لكل شيء حقا يجب الوفاء به وأداؤه على الوجه المطلوب، وإن للطريق في الإسلام حقوقا نصَّ عليها، وآدابا حث عليها.

وإن عموم الآداب الشرعية وعمومات الشريعة قد حفت هذا الأمر من كل جوانبه.

* فحقوق الطريق التي نصَّ عليها النبي ﷺ:

١- رد السلام وإفشاؤه.

٢- غض البصر.

٣- كف الأذى.

٤- إرشاد السائل، وإرشاد السبيل، وهداية الضال،

وهداية الأعمى.



- ٥- إغاثة الملهوف والضعيف والمظلوم.
- ٦- إزالة الضرر، وإماطة الأذى عن الطريق.
- ٧- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ٨- حسن الكلام.
- * وعموم الآداب المتعلقة بالطريق كثيرة، نورد منها:
- ٩- الصبر.
- ١٠- كظم الغيظ والغضب.
- ١١- الأناة وعدم العجلة.
- ١٢- مراعاة الكبير والمريض.
- ١٣- النهي عن ترويع الناس.
- ١٤- التواضع وعدم الكبر.



١٥- أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، وتكره له ما

تكره لنفسك.

* أدلة آداب الطريق وحقوقه كما جاء النص بها:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«إياكم والجلوس بالطرقات».

فقالوا: يا رسول الله، ما لنا من مجالسنا بدُّ نتحدث فيها.

فقال: «فإذ أبيتم إلا المجلس، فأعطوا الطريق حقه».

قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟

قال: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر

بالمعروف، والنهي عن المنكر»^(١).

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ٦٢٢٩، صحيح مسلم ٢١٢١.

وعن أبي طلحة رضي الله عنه قال:

كنا قعوداً بالأفنية نتحدث، فجاء رسول الله ﷺ، فقام علينا، فقال: «ما لكم ولمجالس الصُّعَدَات؟ اجتنبوا مجالس الصُّعَدَات».

فقلنا: إنما قعدنا لغير ما بأس، قعدنا نتذاكر ونتحدث.

قال: «إمّا لا، فأدوا حقها: غض البصر، ورد السلام، وحسن الكلام»^(١).

وعند الإمام أحمد: «وأرشدوا السائل»^(٢)، وعنده أيضاً: قوله عليه السلام: «فاهدوا السبيل، وردوا السلام، وأعينوا المظلوم»^(٣).

(١) صحيح مسلم ٢١٦١.

(٢) مسند أحمد ١١٥٨٧ (١٨/١٣١).

(٣) مسند أحمد ١٨٤٨٤ (٣٠/٤٣٨).



وفي رواية عند البخاري كما في الأدب المفرد: «إدلال السائل»^(١).

وعند أبي داود كما في سننه: «وإرشاد السبيل»^(٢)، «وتغيثوا الملهوف، وتهدوا الضال»^(٣).

وعند الطبراني كما في المعجم الكبير: «واهدوا الأعمى»^(٤).
ومن جوامع أحاديث الآداب:

قوله ﷺ: «ليس من نفس ابن آدم إلا عليها صدقة في كل يوم طلعت فيه الشمس».

(١) الأدب المفرد للبخاري ١١٤٩.

(٢) سنن أبي داود ٤٨١٦.

(٣) سنن أبي داود ٤٨١٧.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٣٦٧ (٢٢/١٣٨)، وضعفه

الألباني كما في ضعيف الجامع ٤٦٨٢.

قيل: يا رسول الله، ومن أين لنا صدقة نتصدق بها؟

فقال: «إن أبواب الخير لكثيرة: التسييح، والتحميد، والتكبير، والتهليل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتميط الأذى عن الطريق، وتسمع الأصم، وتهدى الأعمى، وتُدلُّ المُستدَلَّ على حاجته، وتسعى بشدة ساقيك مع اللففان المستغيث، وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف، فهذا كله صدقة منك على نفسك»^(١).

رد السلام وإفشاؤه:

قال الله تعالى ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَةٍ فَحِوُّا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦]، أرشدنا سبحانه إلى طريقة رد السلام،

(١) صحيح ابن حبان ٣٣٧٧. وقال الأرئوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.



وذلك بأن يكون ردها بمثلها، وهذا أقل الواجب، أو يكون بأحسن منها، وهو المستحب والأفضل، كمن يسلم: السلام عليكم، فيرد عليه بمثلها: وعليكم السلام. أو بأحسن منها: وعليكم السلام ورحمة الله، وبأحسن من هذه: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

ودليل الأفضلية في هذه المراتب ما جاء عن عمران بن حصين رضي الله عنه: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: (السلام عليكم)، فقال النبي ﷺ: «عشر»، ثم جاء آخر فقال: (السلام عليكم ورحمة الله)، فقال النبي ﷺ: «عشرون». ثم جاء آخر فقال: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)، فقال النبي ﷺ: «ثلاثون»^(١).

(١) سنن الترمذي ٢٦٨٩. وقوله عليه السلام: عشر وعشرون وثلاثون: أي من الحسنات.



وإن ردَّ السَّلام من حق المسلم على المسلم، كما قال ﷺ:
«حق المسلم على المسلم خمسٌ: رد السلام، وعبادة المريض،
واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس»^(١).

وإفشاء السلام أعم من رده، فهو إظهار له، سواء
كان رداً أو ابتداءً، وإنه من أدب أهل الخير وسمتهم، فعن
عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رجلاً سأل رسول الله
ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام
على من عرفت، ومن لم تعرف»^(٢).

وقول النبي ﷺ في فضل إفشاء السلام: «لا تدخلون
الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على
شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»^(٣).

(١) صحيح البخاري ١٢٤٠.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري ١٢، صحيح مسلم ٣٩.

(٣) صحيح مسلم ٥٤.



غض البصر:

يقول تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ
وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ
﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ
وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى
جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ
أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ
إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَاءَهُنَّ أَوْ مَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ
أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ
بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا
أَنَّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿النور: ٣٠-٣١﴾.

في الآيتين الكريمتين من سورة النور يأمر الله عز وجل
عباده بأمور عظيمة تحفظ لهم دينهم وأخلاقهم وأعراضهم.

وأول هذه الأمور: غُضُّ البصر، ويكون عن معائب الناس وعوراتهم وسوءاتهم وما لا يجوز النظر إليه. وغض البصر مانع من الوقوع فيما هو أكبر منه، والذي ينتج بسبب كثرة استراق النظر، وفساد القلب بعده، ثم لا يجد غضاضة ولا حرجا في الوقوع في كبائر الذنوب.

ويأمر الله عباده بعد غض البصر: بالسُّتْر والعفاف والحياء في النفس وفي البدن، وأيضا في الملابس كما خص به نساء المؤمنين وهن شقائق الرجال.

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: (ولما كان النظر داعية إلى فساد القلب، كما قال بعض السلف: «النظر سهام سُمُّ إلى القلب»؛ ولذلك أمر الله بحفظ الفروج كما أمر بحفظ الأبصار التي هي بواعث إلى ذلك.



وحفظ الفرج تارة يكون بمنعه من الزنى، وتارة يكون بحفظه من النظر إليه.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ أي: أظهر لقلوبهم وأنقى لدينهم، كما قيل: «من حفظ بصره، أورثه الله نورا في بصيرته». ويروى: «في قلبه»^(١).

كف الأذى:

إن الأذى يشمل الحسي والمعنوي، وإن أثره السيء على الفرد والجماعة ظاهر لا يخفى، وتحريمه قطعي ومعلوم لا ينكره أحد. وإن أقل ما على الشخص أن يفعله تجاه غيره أن يكفَّ أذاه عنهم، وأن يقول خيرا أو ليصمت، وكما يجب غيره أن يكفوا أذاهم عنه فيجب عليه -ابتداءً- أن يكفَّ أذاه عنهم.

(١) تفسير ابن كثير (٦-٧/٤٢) بتصرف.



قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(١).

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «على كل مسلم صدقة» قالوا: فإن لم يجد؟

قال: «فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق» قالوا: فإن لم يستطع

أو لم يفعل؟ قال: «فيعين ذا الحاجة الملهوف» قالوا: فإن لم

يفعل؟ قال: «فيأمر بالخير» أو قال: «بالمعروف» قال: فإن لم

يفعل؟ قال: «فيمسك عن الشر فإنه له صدقة»^(٢).

وإن الإيذاء بنوعيه سبب لذهاب الحسنات وتحمل

سيئات من أساء إليهم، وبذلك يكون مفلساً يوم القيامة

والعياذ بالله:

سأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه: «أتدرون من المفلس»؟

قالوا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع.

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ١٠، صحيح مسلم ٤١.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري ٦٠٢٢، صحيح مسلم ١٠٠٨.



قال رسول الله ﷺ: «المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاته وصيامه وزكاته، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيقعد فيقتصَّ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنِيَتْ حسناته قبل أن يُقْتَصَّ ما عليه من الخطايا أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار»^(١).

إرشاد السائل وهداية الضال:

وكما قال عليه الصلاة والسلام أيضا: إرشاد السبيل، وهداية الأعمى.

فإن هذه الأربعة تشترك في معنى الإرشاد والإدلال لمن يحتاجون إليه في الطريق.

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٢٤١٨، وقال: حديث حسن صحيح.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك

صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة»^(١).

وإن هذه الخصال هي من خصال أهل الخير الذين

لا يتوانون في مدد العون لكل محتاج، وهي من الخصال

العظيمة التي جعل الله لها ثواباً خاصاً؛ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من منح

منيحة لبن أو ورق أو هدى زقاقاً: كان له مثل عتق رقبة»

أخرجه الإمام الترمذي في سننه ثم قال رحمه الله: (قوله: أو

هدى زقاقاً: يعني به هداية الطريق وهو إرشاد السبيل)^(٢).

وأخص من هذا كله: ما ورد في عظيم أمر إرشاد الأعمى

وضعيف البصر كما سبق، وعظيم ذنب من أضل الأعمى عن

(١) سنن الترمذي ١٩٥٦.

(٢) سنن الترمذي ١٩٥٧.



طريقه كما قال ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من غير نُحُوم الأرض»^(١)، ولعن الله مَنْ كَمَمَ الأعمى عن السبيل»^(٢).

إغاثة الملهوف والضعيف والمظلوم:

قال النووي رحمه الله تعالى: (الملهوف عند أهل اللغة: يطلق على المتحسّر وعلى المضطر وعلى المظلوم)^(٣). وهو المكروب، الذي وقع عليه كرب وبلاء، سواء ظلما أو بغير

(١) أي غير معالم الأرض وحدودها المرسومة المملوكة، بأن غير وأدخل في ملكه ما ليس له ظلما، وقيل الذي يغير معالم الأرض التي يستعان بها في معرفة الطرقات، قال الأمير الصنعاني: (أي حدودها الذي بها تمييز الأملاك والحقوق والطرقات، وقيل: حدود الحرم، وقيل: التي يهتدى بها في الطرقات، وقيل: هو أن يدخل في أرضه ما ليس فيها، والظاهر أن المراد الكل) [التنوير شرح الجامع الصغير ٥ / ١٨٤]

(٢) مسند أحمد ٢٨١٦ (٥ / ٢٦).

(٣) شرح النووي على مسلم (٧ / ٩٤).

ظلم. والضعيف يعم ويشمل كل ضعيف، من صغير أو كبير، أو ذكر أو أنثى، أو صحيح أو سقيم.

إن إعانة هؤلاء الذين ذكرهم رسول الله ﷺ هو من خير ما يفعله المسلم في يومه وليلته، بل من أعظم ما يلقي به ربه يوم القيامة، إن أحسن النية وأخلص العمل؛ فقد قال ﷺ في حديث جامع عظيم: «من نَفَس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نَفَس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يَسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»^(١).

وقد بَوَّب الإمام البخاري: (باب: نصر المظلوم)، وذكر حديثين: حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (أمرنا

(١) صحيح مسلم ٢٦٩٩.



النبي ﷺ بسبع، ونهانا عن سبع... -فعد منهمن وذكر- ونصر المظلوم)، وحديث النبي ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»، وشبّبك بين أصابعه^(١)، في إشارة منه ﷺ إلى عمق الأخوة والتكاتف الذي يجب أن يكون عليه الأخ مع أخيه، والفرد في مجتمعه.

إزالة الضرر وإمطة الأذى عن الطريق:

قد أسلفنا الكلام عن ترك الأذى واجتنابه والكف عنه، وإن المقام هاهنا أعلى مرتبة وأخص منزلة من المقام الأول، وهو في إزالة الأذى بكل أنواعه وأشكاله عن طريق الناس وممرّهم، وقد نص النبي ﷺ عليه في حديث شعب الإيمان بقوله: «الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة:

(١) أخرجهما الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: المظالم والغصب، باب: نصر المظلوم، رقم: ٢٤٤٥ و٢٤٤٦.

فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق،
والحياء شعبة من الإيمان»^(١).

(ومن دَلَّ على خير، فله مثل أجر فاعله) كما قال ﷺ^(٢)،
فإن بعض الأذى قد يكون إزالته من قبل الجهات المختصة،
فيكون إدلالهم عليه من عظيم أبواب الخير وإماطة الأذى
عن الطريق، فيحرص المسلم على أن يكون صالحاً مصلحاً
في مجتمعه.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

هذه الشعيرة من أشمل وأعظم واجبات الإسلام التي
أمر الله بها مجموع الأمة القيام بها على الكفاية، ومدح الله
ورسوله القائمين بها مدحاً عظيماً، وحذّر الله ورسوله من

(١) صحيح مسلم ٣٥.

(٢) صحيح مسلم ١٨٩٣.



إضاعتها تحذيرا مقرونا بوعيد دنيوي وأخروي؛ فإن شأنها عظيم وأثرها كبير.

ففي الأمر بها، قال عز وجل: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وأثبت الخيرية لمن قام بها، قال عز وجل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وفي التحذير الشديد من إضاعتها، يقول ﷺ: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»^(١).

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٢١٦٩، وقال: حديث حسن.

إن الأمر بالمعروف ومحبتة، والنهي عن المنكر وكرهيته، من صميم أخلاقيات أهل الإسلام، ومن أسباب انتشار الأمان والعدل وانحسار الظلم في المجتمع، ومن أسباب حفظ الحقوق العامة والخاصة، الدينية وتتبعها الحقوق الدنيوية، ومن أسباب حفظ نسيج المجتمع الواحد والسعي لإصلاح أفراده ومؤسسته، وتفعيلاً لحديث النبي ﷺ كما مر معنا: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»^(١).

* وإن آداب وشروط القيام بهذا الواجب متعددة، منها:

العلم بالمعروف والمنكر وكيفية القيام بالأمر والنهي، التحلي بالحكمة والموعظة الحسنة مع الرفق والحلم والصبر، وألا يؤدي إنكار المنكر إلى مفسدة ومنكر أكبر منه^(٢).

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ٢٤٤٦، صحيح مسلم ٢٥٨٥.
 (٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢/٢٥)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨/١٢٩، ١٣٧).



من صور تطبيق هذا الواجب: إذا علم الصديق عن صديقه مثلاً عدم التزام بنظام السير وإخلاقاً به، أو طيشاً وتهوراً، فإنه يبذل النصيحة له، أمرًا بالمعروف ونهاياً عن المنكر؛ حتى لا يقع فيما نهى الله عنه من عصيان الطاعة والإخلال بالنظام وتعريض الأنفس والأموال للهلاك وترويع الآمنين، وغيرها مما يسببه الطيش والإخلال بالنظام غالباً.

وإذا رأى أمرًا به تحفظ الأنفس والأموال والأخلاق وغيرها، بذل النصيحة للجهات المختصة بتوفيره والعمل به، أو يسعى بالنصيحة للجهات المختصة لإزالة ما فيه ضرر أو إثم. وهكذا يحيا المصلحون في مجتمعاتهم، كسفينة واحدة، يسعى الجميع لإصلاحها، وإصلاح أفرادها، حتى تنجو وينجو من عليها.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة، كل



ذلك عام شامل في جميع نواحي الحياة؛ لأن شرع الله شامل كامل، فكما أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أساس في الأمور الدينية وأصل فيها - كما جاء النص الشرعي به -، فإن النصيحة والتي هي أعم منها داخلة في أمور الدنيا ومعاش الناس ومصالحهم، وهذا مما تطلبه الشريعة وتسعى لتحقيقه - كما تقدم - من مقاصد الشريعة وأصولها.

حسن الكلام:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة:

.[٨٣]

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: (أي: كلموهم طيبا، ولينوا لهم جانبا، ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعروف)^(١).

(١) تفسير ابن كثير (١/٣١٧).



وقال سبحانه: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣].

إن التزام الأمر الإلهي الرباني بحسن الكلام مع من يستحقه يجنب المتكلم كثيرا مما لا تحمد عقباه في الدنيا قبل الآخرة، فيجنبه الشحناء والبغضاء وسوء الظن في الدنيا، ويجنبه الآثام والسيئات ونقصان الأعمال يوم القيامة كما مر معنا في حديث «أتدرون من المفلس»^(١).

قال ﷺ: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء»^(٢).

إن الكلام في الشريعة موزون، وفي صحف الملائكة

(١) سنن الترمذي ٢٤١٨.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، رقم: ٢٠٠٢.

مكتوب، وعند الله مسموع ومعلوم، فقل -أيها المتكلم- خيرا أو اصمت، كما نصح النبي ﷺ وهو الناصح الأمين^(١).

قال تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

الصبر:

إن الصبر هو أمان لصاحبه، ووقاية له من الوقوع في كثير من المواقف والحوادث والعلل النفسية والجسدية. وإن كثيرا ممن تعجل أو توتر أو غضب ولم يصبر على الأذى أو على بلوغ الهدف والمكان المنشود يندم أشد الندم على نفاذ صبره وعدم تحمُّله بأن يقع في نقيض ما أراد تحقيقه، وحينها لا ينفع الندم.

إن الصبر كما يكون في الأزمان وانتظارها، وفي الأماكن وبلوغها، وفي الأهداف وتحقيقها: يكون كذلك في الصبر على

(١) انظر: صحيح البخاري رقم: ٦٠١٨.



الأذى، والصبر على البلاء وعلى أقدار الله المؤلمة، والصبر على الطاعة والمعروف مع الصبر عن المعصية والمنكر.

قال عز وجل ﴿ إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

وعدّ من رب العالمين ومالك المُلْك الجواد الكريم أن يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب، والله لا يخلف وعده، وعندما ينجز الملك الكريم وعده فلا تسأل عن عظيم فضله وإنعامه.

هذا وقد أثبت الرحمن محبته لعباده الصابرين؛ قال سبحانه: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

قال النبي ﷺ: «من يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يصبر يصبره الله، وما أعطي أحد من عطاء خيراً وأوسع من الصبر»^(١).

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ١٤٦٩، صحيح مسلم ١٠٥٣.

تمر علينا كثير من المواقف المستفزة أو الزحام الخائق أو الأذى في الطريق، فعلينا أن نعمل بما علمنا، وأن نفعل الصبر والحلم والأناة في نفوسنا، فحينها فقط: تهدأ الأنفس وترتاح الضمائر من نار الغيظ والحنق والتوتر الذي لا وقاية له ولا علاج إلا بالصبر واحتساب أجره عند الله عز وجل وملائته بذكر الله والفأل الحسن، وألاً يُعالج ويُدفع الأذى والغضب بمنكر أو مفسدة!

الحلم وكظم الغيظ والغضب:

الحلم: التعقل وأن يملك الإنسان نفسه عند الغضب.

نسمع كثيراً عن حالات طلاق واعتداء وقتل وغيرها، وسببها: غضب وغيظ لم يُكظم ولم يُدفع في النفس، وانفعال شديد زاد عن حدّه ومعقوله. إن الغضب قد يعمي عن التبصر، وقد يصم عن السمع، ويعطل التفكير السليم، فيقع



في البغي وفيما حرم الله عز وجل، فيفعل أمراً في حال غضبه،
وبعدها يعض أصابع الندم على ما فعل!

لهذا - وغيره - كان الحلم وكظم الغيظ حاضراً في
نصوص الشرع الحكيم وآدابه:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

فقد وعد سبحانه بجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، ومن هم المتقون الذين ذكرهم الله في الآية؟ هم الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله، والكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: (فقوله: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ أي: لا يعملون غضبهم في الناس، بل يكفون عنهم شرهم، ويحتسبون ذلك عند الله عز وجل.

ثم قال تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ أي: مع كف الشر يعفون عن ظلمهم في أنفسهم، فلا يبقى في أنفسهم موجدة على أحد، وهذا أكمل الأحوال، ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فهذا من مقامات الإحسان^(١).

وقد قال النبي ﷺ: «من كظم غيظا، وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله تبارك وتعالى على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء»^(٢).

وقال ﷺ: «ما من جرعة أعظم أجرا عند الله من جرعة غيظ، كظمها عبداً ابتغاء وجه الله»^(٣).

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١٢٢).

(٢) مسند أحمد ١٥٦٣٧ (٢٤/ ٣٩٨).

(٣) سنن ابن ماجه ٤١٨٩.



الأناة وعدم العجلة:

الأناة: الثبّت والتمهّل وترك العجلة.

إن الحِلْم والأناة من الأخلاق التي يحبها الله عز وجل؛ قال ﷺ لأحد أصحابه: «إن فيك خصلتين يحبها الله عز وجل: الحِلْم، والأناة»^(١).

وإن التعجّل من الصفات التي لا تُحمد، قال ﷺ: «التأني من الله، والعجلة من الشيطان»^(٢).

فلو فحص الإنسان بعض المواقف والمواضع التي كان أثرها سيئاً عليه سيجد أن الغضب أو التعجل سبب تلك المواقف، وكم حكم شخص على آخر بحكم سيء بسبب العجلة وعدم الثبّت، وكم وقعت حوادث بسبب التعجل في

(١) صحيح مسلم ١٧.

(٢) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، رقم: ٢٠٧٦٧ (١٠/١٠٤)، وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة، رقم: ١٧٩٥.

القيادة، وكم وقعت وكم حدثت غيرها من أمور بسبب ترك الحِلْم والأناة والصبر.

إن العجلة مذمومة إلا في مواضع الطاعة والخير والمعروف فإن المسارعة فيها محمودة، قال عز وجل: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وللأمير الصنعاني رحمه الله كلام نفيس وبيان جيد للتفريق بين المقامين، قال رحمه الله: (العجلة هي السرعة في الشيء.

وهي مذمومة فيما كان المطلوب فيه الأناة.

محمودة فيما يطلب تعجيله من المسارعة إلى الخيرات ونحوها.

وقد يقال: لا منافاة بين الأناة والمسارعة؛ فإن سارع بتؤدة وتأن فيتم له الأمان، والضابط أن خيار الأمور أوسطها^(١).

(١) سبل السلام (٤/٥٧١).



فخيار الأمور أوسطها، مع التحلي بالحكمة وهي وضع كل شيء في موضعه اللائق به.

وكما علمنا أن العجلة لها مواضع محمودة، كذلك الغضب له مواضع محمودة، فكل أمر يوضع في مكانه المناسب.

مراعاة الكبير والمريض:

إن الشرع الحكيم قد راعى الكبير والضعيف والمريض في أحكامه. فمن صور مراعاته لهم:

مراعاتهم في فريضة الجهاد الشرعي، قال عز وجل:

﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمُرِيضِ حَرْجٌ ﴾ [الفتح: ١٧].

أيضاً: مراعاتهم في شعيرة هي من أعظم شعائر الإسلام

الظاهرة: صلاة الجماعة، قال النبي ﷺ: «إذا كان أحدكم

إماما، فليخفف، فإنه يقوم وراءه الضعيف والكبير وذو الحاجة، وإذا صلى لنفسه، فليطول ما شاء»^(١).

وقد مر معنا إعانة الضعيف وهداية الأعمى.

فإذا كان الشرع يراعيهم في أحكامه ومعاملاته، وجب علينا نحن أتباع هذه الشريعة السمحة مراعاتهم في شؤون الحياة كلها، وخصوصا في الطرقات، فكثيرا ما مر معنا في الطريق رجل كبير في السن يقود مركبته بصعوبة أو ببطء، وكم مر علينا غيرهم من المرضى ونحن لا ندرى عن حالتهم، وربما غضبنا أو انفعلنا أو تعجلنا، فهذا تذكير أبدأ نفسي به بالصبر والتأني والحلم، ومراعاة آداب الطريق وحقوقه، وأن من مستخدمي هذا الطريق المريض والكبير، وقد نكون أحدهم،

(١) مسند أحمد ١٠٥٢٢ (١٦/٣١٠).



أو يكون أحد أرحامنا أو أقربائنا في ذلك الموقف في يوم
من الأيام!

نسأل الله عز وجل العافية والمعافاة الدائمة في الدين
والدنيا والآخرة.

النهي عن ترويع الناس:

إن صور ترويع الناس على الطرقات غالباً ما تكون بسوء
قيادة المركبة، بالطيش والانحراف المفاجئ، وعدم اكتراث
قائد تلك المركبة بمن حوله. ولو تفكر قليلاً فيما يحدثه الطيش
والانحراف المفاجئ من ترويع - على أقل تقدير - لعلم الخطأ
الكبير الذي وقع فيه.

إن ترويع الناس محرّم، ولو كان مزاحاً أو لعباً، فعن
عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حدثنا أصحاب رسول الله ﷺ،

أنهم كانوا يسيرون مع رسول الله ﷺ في مسير، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى نبل معه فأخذها، فلما استيقظ الرجل فزع، فضحك القوم، فقال: «ما يضحككم؟»، فقالوا: لا، إلا أننا أخذنا نبل هذا ففزع، فقال رسول الله ﷺ: «لا يجلُّ لمسلم أن يروِّع مسلماً»^(١).

التواضع وعدم الكبر:

يكفينا في هذا المقام أن نذكر من كلام الله عز وجل هذه الآيات:

- وصية لقمان الحكيم لابنه، يقول تعالى على لسان لقمان:

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٨-١٩].

(١) مسند أحمد ٢٣٠٦٤ (٣٨/١٦٣).



- ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ

الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧].

- وقد ذكر الله صفات عباد الرحمن، فقال عز وجل:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ

الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

فدلت هذه الآيات على أمور عظيمة، منها:

أولاً: النهي عن الإعراض بالوجه عن الناس والمشى على

الأرض تكبراً وظلماً.

ثانياً: الأمر بالمشى قصداً وتواضعاً، لا مشى المتكبر

المتجبر، ولا مشى الذليل المتمارض.

ثالثاً: الأمر بخفض الصوت أدباً مع الله ومع الناس.

رابعاً: الكف عن السّفه والسّفهاء، والجهل والجهلاء،
وَأَلَّا تُنَزَّلَ النَّفْسَ الْكَرِيمَةَ لِمَسْتَوَاهُمْ.

خامساً: إن الله يبغض المتكبرين المختالين، ويجب
المتواضعين له وللناس.

أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك:

نختم بهذا الخلق الذي جمع الخير كله، واختصر من
الكلام والوعظ أطوله؛ يقول ﷺ: «وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تَحِبُّ
لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا»^(١)، وفي رواية: «وَأَنْ تَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تَحِبُّ
لِنَفْسِكَ، وَتَكْرَهُ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ»^(٢).

(١) سنن الترمذي ٢٣٠٥.

(٢) مسند أحمد ٢٢١٣٠ (٤٤٥/٣٦)، وقال الأرنؤوط: صحيح
لغيره.



ولا حاجة للتعليق الطويل على هذه الوصية الجامعة،
فلو طبقت في شؤون الحياة كلها، وخصوصا على الطرقات،
لأصبحت الحياة أكثر سهولة وراحة.



دور الأسرة

إن الأسرة هي التي تشكل غالب شخصية الفرد وأخلاقه وسلوكه، فهي التي نشأ فيها أول حياته، وتعلم منها دينه وأخلاقه، ورأى في والديه ومن هم في مقامهما القدوة التي يجب أن يسير على خطاهم.

وبهذا وغيره نعلم أهمية هذه المرحلة في غرس القيم والأخلاق، وتعليم الدين الصحيح من العقائد والفقهاء وسائر الأحكام.

إذا أردنا أن ننشر ثقافة النظام المروري واحترامه يجب أن نبدأ من البيت، يجب أن تكون الأسرة هي الأساس قبل أن تكون إدارة المرور أو وزارة التربية والتعليم.

إن تعليم الأبناء مسؤولية وواجب شرعي قبل أي شيء،





قد مررنا سريعا، وبشكل مختصر على شيء لطيف من مقاصد الشريعة الإسلامية، وموافقة نظام المرور لها، وبهذا الوجه كان مُلزما شرعا، لا مجرد قانون خاوٍ عن روح الشريعة، فاكتمسب قدرا عظيما في النفس، وكان التحلي بأدابه مما يؤجر عليه المسلم إن أخلص النية لله عز وجل.

ثم كان الحديث عن عدم الالتزام بنظام المرور وما ينتج عنه، والتحذير الشديد من مخالفته شرعا.

ثم عرجنا على آداب الطريق المنصوص عليها في سنة النبي ﷺ، مع الآداب الشرعية العامة التي لها تعلق بموضوعنا.



ثم وصية لأرباب الأسر، بالتعليم قولاً وعملاً، والتقيد
بالنظام داخل البيت وخارجه، ومع القريب قبل البعيد، وبهذا
ينشأ الناشئ فيها على النظام والتقيد به واحترامه.

ونسأل الله عز وجل العلم النافع والعمل الصالح.

ونسأله سبحانه أن يهدينا لأحسن الأعمال وأحسن
الأخلاق، وأن يقينا أسوأ الأعمال وأسوأ الأخلاق.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.



قائمة المصنّاور

- الأذب المفرد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- الأشباه والنظائر، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

- تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.



- التنوير شرح الجامع الصغير، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني الصنعاني، أبو إبراهيم، المعروف بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، المحقق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

- سبل السلام شرح بلوغ المرام، المؤلف: محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني (المتوفى: ١١٨٢هـ)، الناشر: دار المعارف - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى:

١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض،
الطبعة الأولى، لمكتبة المعارف.

- سنن ابن ماجه، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن يزيد،
ابن ماجه القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، المحقق: شعيب
الأرنؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد
اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى،
١٤٣٠هـ.

- سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث
ابن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السّجستاني
(المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - محمد
كامل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى،
١٤٣٠هـ.



- سنن الترمذي = الجامع الكبير، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرَة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.

- السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

- شرح القواعد الفقهية، المؤلف: أحمد بن الشيخ محمد الزرقا (١٣٥٧هـ)، صححه وعلق عليه: مصطفى أحمد الزرقا، الناشر: دار القلم - دمشق / سوريا، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩ م.

- صحيح ابن حبان = الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (٢٥٦هـ)، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢.



- صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- ضعيف الجامع الصغير وزيادته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي.

- مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.



- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،
 المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن
 قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله
 البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة
 الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

- مسند الإمام أحمد، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن
 محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)،
 المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف:
 د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة،
 الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

- المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن
 مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)،



قائمة المحتويات

- ٥ افتتاحية
- ٧ المقدمة
- ٩ نعم الله عز وجل
- ١٥ النظام المروري وعلاقته بمقاصد الشريعة الإسلامية
- ٢١ صور تعريض النفس والآخرين للهلاك
- ٢٥ الطريق وآدابه:
- ٣١ رد السلام وإفشاؤه
- ٣٤ غض البصر
- ٣٦ كف الأذى
- ٣٨ إرشاد السائل وهداية الضال
- ٤٠ إغاثة الملهوف والضعيف والمظلوم
- ٤٢ إزالة الضرر وإماطة الأذى عن الطريق
- ٤٣ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

- ٤٧ - حسن الكلام
- ٤٩ - الصبر
- ٥١ - الحلم وكظم الغيظ والغضب
- ٥٤ - الأناة وعدم العجلة
- ٥٦ - مراعاة الكبير والمريض
- ٥٨ - النهي عن ترويع الناس
- ٥٩ - التواضع وعدم الكبر
- ٦١ - أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك
- ٦٣ - دور الأسرة
- ٦٥ - الخاتمة
- ٦٧ - قائمة المصادر
- ٧٥ - قائمة المحتويات

